لماذا نصور؟

ربما يكون أمراً مخجلاً، بل ومخزي، أن لا يتقن الصحفي التصوير في عصر بات التصوير فيه جزء من استخداماتنا اليومية، فالكل يصور بكاميرته اليوم، بعد أن توافرت الكاميرات بشكل هائل، في كل بقاع العالم، حتى أصبح السوق مكتظ وغارق بالكاميرات، مع منتجات التصوير ومعداته، فالطلب على الفوتوغراف يتزايد بشكل كبير جدا، واغلب الناس يعتبرون أن الصورة باتت ضرورية جداً، وأصبحت جزء من حياتهم أو ثقافتهم الحياتية، وبالطبع أن الدول الأوربية، ومنذ زمن بعيد أدركت أهمية الصورة، لدرجة أنها أطلقت عليها ثقافة، كونها تمثل لغة عالمية، يمكن أن تفهمها شعوب العالم، ويذكر المصور العراقي الكبير حازم باك[1] (في بعض البلدان المتقدمة يطلقون على التصوير الفوتوغرافي اسم الثقافة البصرية، لما للصورة من دور كبير في إيصال المعلومات بسرعة فائقة تنفذ إلى مخيلة الجماهير والواسعة في شتى أنحاء العالم بغض النظر عن اختلاف قومياتهم أو لغاتهم أو أجناسهم[2]).

مع تطور التكنولوجيا، أصبحت استخدامات الكاميرا أوسع، لدرجة أن المحترف وغير المحترف يستخدمها بإفراط، فليس غريبا اليوم أن تستخدم طفلة كاميرتها، لتصور قطتها في المنزل أو في الحديقة، كي تريها لزميلاتها بمدرستها، وهو ما حدث مع ابنة شقيقي التي لم تتجاوز عشر سنوات، أو ما حدث مع أخيها الذي راح يصور دراجته الهوائية العاطلة والمركونة في سطح المنزل مدة عام، كي يري الصورة لمصلح الدراجات ويستشيره، بدلا أن يتحمل عناء التحميل والنقل.

ليس غريبا أن يستخدم الحداد كاميرا الهاتف الخلوي، كي يتفقد حاجاته أو يعرض منتجاته وطبيعة عملة للزبائن، إلا أن الغريب ومع هذه التطورات، والتسهيلات الهائلة أن لا يعرف الصحفي استخدام الكاميرا، حيث وجد أن الكثير من الإعلاميين، وخصوصا في البلاد العربية، يتهربون من التصوير، كونهم لا يجيدون استخدام الكاميرا، ومن ثم يتبجحون بان مسالة التصوير ربما لا تليق بهم، متناسين بأن عملاقة الصحافة والإعلام، يصورون بأنفسهم الأحداث ويتفاخرون بلقطاتهم، التي يجنون منها آلاف الدولارات، كالإعلامي العالمي بيتر ارنت الذي يعد واحد

---

(١) المصور حازم باك، هو أول مصور صحفي متفرغ للعمل الصحفي، قبل أكثر من نصف قرن.

(٢) حازم باك- التصوير بالألوان، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ب ت ص٢.

من أشهر صُحَفيي العالم، فهو لا يفارق كاميرته ولو ساعة، أو مع الصحفي العراقي الكبير الدكتور هاشم حسن الذي طالما يتفقدني بين الحين والآخر، ليستشيرني في لاقتناء آخر وأفضل موديل للكاميرات المدمجة بالهاتف، والتي تصور بنقاوة عالية جدا، كي تعينه في أوقات خارج عمله الإعلامي، ناهيك عن كاميراته الاحترافية الأخرى، التي يصور بها آلاف الصور خلال عمله الصحفي، فالإعلاميين الكبار لا يستغنون عن كاميراتهم أبدا، بل يتمسكون بها، وإنهم يتفننون ويبتكرون، في تصوير الفوتوجراف والفيديو، كي يحققوا مكاسب إعلامية.

"بيتر ارنت" أشهر صحفي في العالم، كاميرته ملاصقة معه في كل مكان وكل وقت

اغلب الصحفيين المبدعين، يدركون تماما أهمية الصورة ودورها المؤثر لدى المتلقي، كون أن الصورة ومنذ زمن بعيد، حققت مكاسب كثيرة للصحافة وللإعلام، فاليوم لا يمكن أن نتخيل موقع الكتروني دون صورة، أو محطة تلفزيونية دون مشاهد فيلمية، أصبح المتلقي يتفقد ويتابع الأخبار، أو يختارها من خلال الصورة المنشورة المرفقة بالموضوع الصحفي، والواقع كانت المصادر العلمية السابقة قد أكدت ذلك، حين ذكرت (أول ما يقوم به القارئ عندما يفتح الصحيفة، هو إلقاء نظرة على العناوين والصور، فإذا أثارت الصورة انتباهه قرأ ما هو مدون تحتها، ومن هنا أهمية تضمين التعريف بالصور، عناصر إعلامية، تدفع القارئ إلى مطالعة المقال[1]).

---

(١) فيلب غايار- تقنية الصحافة، بيروت – باريس، منشورات عويدات، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص١١٩.

عمل المصور لا يقل شانا من عمل أي شخص في الإعلام، بدأ من رئيس التحرير وانتهاء بالمحرر والمراسلين أو المندوبين، كون أن كبار الإعلاميين لا يتهاونون في تصوير موضوعاتهم بأنفسهم، باستثناء الموضوعات المعقدة التي تحتاج وقت وانتظار أو أنها معقدة وتحتاج لخبير تصوير، وهو المصور الصحفي الذي يحترف التصوير، لذا فان ما يتعرض له المصور الصحفي هو ذات ما يتعرض له رئيس التحرير أو المندوب والمراسل، بل أن من المواقف ما تجعل من المصور الصحفي ذو دراية ومعرفة أكثر من المحرر، الذي ينتظر الخبر في مكتبه ومن ثم يعيد تحريره، فالمصور يلتصق بالحدث ويشاهد المواقف برمة عينيه، بل انه يقترب من الأحداث ويدركها في بعض الأحيان بتفوق، كونه يسجل تلك الأحداث بكاميرته، هو يذهب بنفسه للحدث ويلتقط الصور فيه، وليس كالمحرر أو المندوب الجالس في مقر الصحيفة، لذا فان الجهد الذي يبذله المصور يفوق غيره، وتذكر لنا بعض المصادر بهذا الخصوص (إن المصور شانه شان المحرر أو المندوب الصحفي، يتعامل مع أناس من مختلف الأنواع، والأوضاع، ولكنه بشكل خاص يواجه صعوبات أكثر من الصعوبات التي يواجهها المحرر أو المندوب الصحفي في أداء واجباته[1])

نرى اليوم الإعلاميين ومحترفي التصوير، ونحن نشارف على نهاية العقد الأول من القرن الحالي، يبتكرون العديد من الأفكار والاستخدامات التكنولوجية، لتحقيق أفضل وأروع النتائج الإعلامية والفوتوغرافية، أو الفيديوية كي تكون غذاء مناسب للمواقع الالكترونية، أو القنوات الفضائية، التي تلتهم ملايين الصور والمشاهد الفيديوية، بل أن هناك ممن هم غير محترفي الإعلام أو التصوير، شكلوا منتديات أو مواقع الكترونية لاستقطاب واستعراض، الصور الفوتوجرافية والمشاهد الفيديوية، التي تنتشر بسرعة فائقة في بث المعلومات والصور، كمواقع " Facebook" أو "flicker" أو "you tube" أو "4Shared" أو "Hi5" ... الخ، حيث تستعرض هذه المواقع من الصور العديدة جدا، ومنها تعرض المشاهد الفيلمية، لتصبح محط اهتمام بالغ، وفي بعض الأحيان محط جدل بين الناس، حيث أن بعض هذه المواقع بدأت بانتشار غير متوقع، مما أثار غضب بعض الجهات الحكومية الحساسة، كحكومة الاحتلال الإسرائيلي التي أعلنت خشيتها، وقلقها جراء

---

(١) محمود علم الدين- الصورة الفوتوغرافية في مجالات الإعلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ ص٦٠

انتشار صور لإفراد من الجيش الإسرائيلي، في مواقع الكترونية كموقع "Facebook"، الذي يستعرض كم كبير من الصور والمشاهد الفيلمية، وهي تكشف تفاصيل عن المواقع العسكرية الإسرائيلية[١]، وكانت الـ"BBC" قد نشرت موضوع وتقرير تلفزيوني بهذا الخصوص، بعنوان" حرب الاستخبارات بين إسرائيل وأعدائها على الانترنت"[٢]، فالعالم بات يتغير كثيراً مع ما أفرزته التطورات الديجتال في عالم الفوتوجراف والفيديو أو الجرافيكس، والذي يمكن أن نسميه بالملتيميديا.

ليس بالضرورة أن تستخدم معدات التصوير لحاجات الإنسان التوثيقية، أو المعاملات الرسمية أو الإعلانات والصحف، بل هناك حاجات ظهرت كالـ "entertainment" الترفيهية أو الكمالية، ما زادت استخدامات التصوير، لتجعله في متناول الأيدي بأعداد مضاعفة وبكميات لا تعد ولا تحصى، فحاجات الإنسان للتصوير لم تعد كما كان في السابق، كأن يستخدم التصوير للتوثيق فحسب، بل أن الحاجات تعددت مع تطور الزمن، ليصبح التصوير لغة وفن رفيع، ويشير فيليب غايار في كتابه "تقنية الصحافة" (فن التصوير كان ومازال من ارفع وأجمل اللغات التي تعارف عليها البشر منذ بدء الخليقة، وهو الفن الذي دعم به الإنسان حضارته وسطر به تاريخه في خطوط وألوان وأضواء وظلال ليجسّم الأشكال وبشكل الأجسام لكي تشغل حيزاً منظوراً وملموساً في الوجود[٣]).

البعض يرى أن تعقيدات الحياة أخذت تتوسع، مع الكم المهول من الحاجات، التي لا تنتهي مع الإنسان، ولوحظ بان الحاجات دائما ما تكون بحاجة إلى تنظيم، كي يتمكن الإنسان من تحقيقها، لذلك كان عليه أن يؤسس منظومة تصنف له الأشياء، وتذكره بما يحتاج، والتصوير وارتباطاته مع الكومبيوتر ومعداته الاتصالية، حقق قفزة جديدة من الحلول المناسبة لتلك الحاجات، التي استعرضت

---

(١) ذكر موقع صدى سوريا الالكتروني، بأنه أصدر جهاز المخابرات الداخلي في إسرائيل / الشين بيت/ تحذيرا علنيا نادرا في ١٩-٥-٢٠٠٩ من أن جماعات إرهابية تستخدم مواقع رائجة للعلاقات الاجتماعية، على الانترنت مثل موقع / فيس بوك/ لتجنيد وربما خطف مواطنين إسرائيليين، وللمزيد يمكن متابعة الرابط http://www.sadasoria.com/arabic/page-select-id-show_det-31-14471.htm ، والمنشور حتى ٢٥-٨-٢٠٠٩.

(٢) موقع الـ" BBC " الالكتروني والمنشور حتى الاثنين ٢٥ مايو ٢٠٠٩ . http://www.bbc.co.uk/arabic/

(٣) فيلب غايار- تقنية الصحافة، بيروت – باريس، منشورات عويدات، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص٦ .

الصورة بشكل واسع للغاية، وذلك اثر الكم الهائل من المواقع الإلكترونية واثر تعدد القنوات الفضائية التي تتزايد بل وتتفاقم في مناخ، يبدو للبعض بأنه جديد.

إن التصوير وبحكم المزايا التي يقدمها للصحافة أو الإعلام، من متعة بصرية، وتوثيق صادق وأمين، اخذ يشكل منهج جديد في علم الاتصال أو في الإعلام، حيث باتت الصورة جزء هام من ذات الإعلام أو الصحافة، وقد أشارت العديد من المصادر ومنذ مدة بعيدة بان العمل الصحفي يتركز مع الإبداع البصري، والذي تلعب فيه الصورة الدور الرئيسي، (الفن الصحفي الحديث قد أصبح فنا بصريا، يعتمد على الصورة والرسوم وأصبحت الصورة الفوتوغرافية، وهي هنا تهمنا من كل المواد المصورة (illustrations) في الجريدة أو المجلة- تلعب دورا هاما في تحقيق أهداف الصحافة، في ذلك العصر الذي يسمى، بعصر الصورة[1]).

التطور والتقدم في الحياة افرز ضرورات كثيرة لاستخدام آلة التصوير في الحياة اليومية، حيث برزت مجموعة كبيرة من آلات التصوير في العقود الأخيرة، ادرجة انها توافرت في متناول المختصين وغير المختصين بالتصوير، وظهرت أنواع من الكاميرات ما هي تفوق الكاميرات القديمة بإمكانياتها وحجمها، وقد أصدرت Sony وحدة الكاميرا MCB1172 أصغر كاميرا من نوعها، والتي تقدم تصوير فيديو بجودة 720p عالي التحديد، وحدة الكاميرا هذه لا تتجاوز أبعادها 9.5مم × 71مم و تلتقط صورة بدقة 8.3 ميجا بكسل، و تستطيع تصوير الفيديو بمعدل 30 لقطة في الثانية أو 120 لقطة في الثانية، ومزودة بعدد كبير من المواصفات التقنية المتقدمة مثل تقنية الـ"steady shot" تثبيت الصورة المهتزة، أثناء تصوير الفيديو، وتقنية التعرف على الوجوه و "Automatic focusing"الضبط التلقائي للعدسة، وهذه الكاميرا يمكن أن تدمج بالهواتف النقالة، أو في الحاسبات الالكترونية الصغيرة، والتي ستفتح المجال لاستخدامات الكومبيوتر بشكل أكثر، فمع تصاعد وتزايد الاستخدامات للحاسبة الالكترونية، برزت ضرورات في استخدام التصوير بأشكال شتى، حيث ظهرت تقنيات عديدة في التصوير، مكملة للعمليات الرقمية في الحاسبات، وهو الأمر الذي جعل فن التصوير يتضاعف للحدود بالغة.

---

(١) محمد محمود شلبي + إبراهيم إمام- فن التصوير الضوئي وتطبيقاته في الصحافة، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٦٠، - أو المصدر التالي : - محمود علم الدين- الصورة الفوتوغرافية في مجالات الإعلام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ ص١٥، - أو المصدر : - إبراهيم إمام- دراسات في الفن الصحفي، القاهرة، مكتبة الانجلو ١٩٧٢ .